جدلية الواقع والمتخيل في الرواية العربية: "امرأة النسيان" لمحمد برادة أنموذجاً

The Dialectic Between Reality and Imagination in the Arabic Novel: Mohamed Berrada's "The Woman of Forgetfulness" as a Case Study

د. جميلة حمداوي: باحثة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس–سايس، المغرب

Dr. Jamila hamdaoui : University Sidi Mohamed Ben Abdellah – Faculty of Humanities and Social Sciences, Fez-Saïs

Email: jamilahamdaoui52@gmail.com

تاريخ الاستلام:	2025-10-22	تاريخ القبول:	2025-11-13	تاريخ النشر	2025-12-01

الملخص:

عرفت الرواية المغربية تحولات جوهرية، تجلت في انتقالها من كتابة تجريبية لا تحيل إلا على نفسها، إلى مرآة للخطاب الثقافي بكل تعقيداته؛ فلا قيمة لنص إبداعي ما لم ينخرط في مساءلة الواقع وخدمة قضاياه. وتهدف هذه الورقة إلى تحليل رواية "امرأة النسيان" للكاتب المغربي محمد برادة، من خلال مقاربة مجموعة من القضايا المركزية التي شكلت مادتها الروائية، كالسرد، والذاكرة الثقافية، والواقعي، والمُتخيّل. وتتفاعل هذه العوالم مع البنية السردية بما يتيح إعادة بناء الماضي واستحضاره في ضوء أسئلة الحاضر وتحولاته. وأوصت الدراسة بتوسيع آفاق البحث في الرواية المغربية من خلال مقاربة علاقتها بالتحولات الاجتماعية والثقافية التي عرفها المغرب، والاهتمام بتحليل السرد الروائي المغربي من زاوية تفاعل الواقعي والمتخيل لكونه آلية أساسية في بناء الرؤية الفنية والفكرية للرواية المغربية.

الكلمات المفتاحية: السرد، الذاكرة، الواقعي، المتخيل، الهوية، التحولات السياسية.

Abstract:

Contemporary Moroccan fiction has witnessed significant transformations, shifting from a self-referential experimental mode of writing to a narrative discourse that actively engages with the complexities of cultural, social, and political realities. Within this context, literary texts are increasingly evaluated not merely for their aesthetic dimensions, but for their ability to interrogate lived experience and contribute to the understanding of collective and individual concerns. This paper offers a critical reading of "«The Woman of Forgetfulness" by Moroccan author Mohamed Berrada, examining how the novel negotiates key thematic and structural elements such a narrative technique, cultural memory, the interplay between the real and imagined, and the construction of identity. Through these dimensions, the novel becomes a site for reimagining the past and retrieving in through the lens of present-day questions and historical transformations.

Keywords: narrative structure, cultural memory, realism, imagination, identity, political change.

المقدمة:

ليست الرواية مجرد فضاء لسرد الأحداث وتوثيق الوقائع، إنها ممارسة فنية تنبع من رؤية سردية خاصة، يتواشج فيها الواقع والخيال لإعادة بناء الواقع لا كما يبدو، ولكن كما يُتصورُ في الوعي والذاكرة واللغة. ولعل التفاعل بين الواقع والخيال ليس مجرد تقنية لمحو رتابة الواقع ووحشيته، بل هو ما يمنح الرواية جوهرها وعمقها السردي. خاصة حين تكون الرواية على تماس مع الذات والهوية والتجربة، كما هو الحال في رواية "امرأة النسيان" للكاتب المغربي محمد برادة. ولا شك أن الكاتب يعود في هذا النص الروائي إلى ذاكرته ليعيد تشكيل ملامح الواقع وتحولاته السياسية بين الماضي والحاضر، من خلال منظور شخصيات تبحث عن ذاتها وسط دوامة الذاكرة والنسيان، في غير معزل عن الخيال الذي يجعله أكثر قابلية للفهم والتأويل.

تطرح رواية "امرأة النسيان" أسئلة جوهرية حول طبيعة الكتابة الروائية، ومدى إمكانية تمثيل الواقع الحقيقي عبر قناع الخيال، فالنص نسيج من التجربة الإنسانية والرمزية؛ بين ما يأتي على لسان الشخصيات، وما يروم الكاتب الحقيقي قوله، خاصة حين يتعلق الأمر بتأملاته حول الزمن، الهوية، الذات، والتجربة الجمعية.

لأجل ذلك، اخترنا تحليل هذه الرواية لتسليط الضوء على رهاناتها في تسريد الذاكرة السياسية من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف تتحول الذاكرة إلى أداة سردية تربط بين الزمن الماضي والحاضر؟
- ما حدود تمثيل الواقع عبر الخيال الروائي في رواية امرأة النسيان لمحمد برادة؟
- بأي معنى يصبحُ النص فضاء للتأمل في قضايا الهوية والتحولات السياسية والاجتماعية؟

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج التحليلي السيميائي الذي يُعنى بقراءة البنية السردية في علاقتها بالعلامات والدلالات المنتجة للمعنى. إذ يتيح هذا المنهج تفكيك مستويات الخطاب الروائي من خلال دراسة السرد والفضاء والذاكرة واللغة والشخصيات بوصفها مكونات دلالية تتقاطع لتشكل رؤية الكاتب للعالم. كما يستأنس بالمنهج الثقافي والنقد السردي لفهم الأبعاد الرمزية والسياسية التي يستبطنها النص.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل رواية امرأة النسيان للكاتب المغربي محمد برادة بوصفها نصا يعيد مساءلة العلاقة بين السرد والذاكرة والهوية. وتسعى إلى الكشف عن الكيفية التي يُعيد بها الكاتب

بناء التجربة السياسية والثقافية المغربية داخل المتخيل الروائي، وكيف يتقاطع الذاتي بالجماعي في تشكل الوعي الفردي والجمعي. كما تروم الدراسة إلى تمثيل آليات تمثيل الواقع داخل النص الأدبي ورصد حدود التخييل في مقاربة القضايا السياسية والاجتماعية.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى الإسهام في تعميق التحولات التي عرفتها الرواية المغربية الحديثة باعتبارها مرآة للتحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي شهدها المغرب. كما تكمن قيمتها في كونها فضاء لتفاعل الأدب والذاكرة والتاريخ، وتأكيد فعالية السرد على مساءلة الماضي وإعادة قراءته في ضوء الحاضر. ومن ثمّ تسهم هذه الدراسة في إثراء النقاش النقدي حول الرواية المغربية بوصفها جنسا يعيد تشكيل الوعي الثقافي ويجسد رهانات الإنسان في علاقته بالزمن والهوية والمجتمع.

أولا: الذاكرة منبعا للسرد وفضاءً للتأويل:

تعد الرواية من أكثر الخطابات الأدبية فاعلية في توثيق الذاكرة والحفاظ عليها من الضياع، لما لها من قُدرة على استعادة الماضي وإعادة تشكيله ضمن سياقات دلالية وتأويلية متعددة. وتعود فعاليتها هذه إلى مزاوجتها بين اللغة والفكر والخيال لتخليد التجربة الإنسانية وترسيخها. فجميع الصور مصيرها التلاشي كما ترى آني إيرنو[1] وحده الأدب من خلال خصوصية السرد التي يمتلكها ينقذ الزمن من الضياع والتلاشي "أنقذوا شيئا من الزمن الذي لن نعود إليه أبدا"[2].

ومع ذلك، فالذاكرة لا تسترجع الأحداث بمعزل عن خلفيات موجهة؛ إذ لا تستعيدها من أجل التذكر فحسب، بل بوصفها آلية للحفاظ على التجربة الإنسانية من التكرار لا سيما إذا كانت أشد ألما وعنفا. ومن خلال هذه الوظيفة، تهدف الذاكرة إلى بناء الذات الجماعية ضد النسيان، وهذا ما أكده دومينيك شنابر حين اعتبر أن الذاكرة أساس الذات[3]، مشيرا إلى دورها في تشكيل الهويات الفردية والجماعية، بما يجعل الأدب عموما والرواية خصوصا وسيطا في التعبير عن الذاكرة وتوجيهها نحو أهداف إنسانية ومعرفية تتجاوز الحنين إلى الماضي.

بناء على ذلك، لا يمكن فصل الذاكرة عن السرد، إذ يُعدُّ هذا الأخير وسيطا مركزيا في عملية استحضار الذاكرة وتدوينها. فالسرد لا يكتفي بوظيفته الإبلاغية أو التوثيقية، بل يُسهم في إعادة

---

[1]– Anie Ernaux, Les années, collection folio, Editions Gallimard, 2008, p–1.

[2]– Ibid, p–8

[3]– David Rieff, in praise of forgetting, Historical memory and ironies, yale university press, New Haven and London 2016, p–29.

ترميز التجربة الإنسانية، وتكثيف خلاصاتها داخل بنى رمزية تشكل الوعي الجمعي. ومن هذا المنطلق تتجلى العلاقة التفاعلية بين السرد والذاكرة بوضوح في رواية "امرأة النسيان" حيث تُستدعى الذاكرة باعتبارها نواة سردية تؤسس البنية النصية، وتوجه مساراتها الدلالية.

تستوحي رواية "امرأة النسيان" مادتها السردية من الذاكرة، فهي ما يُشكل بنيتها ويطبع معالمها. ويتأسس خطاب الذاكرة على النبش والحفر في الأعماق بغية الكشف عن المستور والمتوارى عبر استرجاع الزمن الماضي، سواء أكان قريبا أم بعيدا، قد يرجع إلى الطفولة أو الأمس القريب. وهكذا فإن الاغتراف من مَعين الذاكرة مثل الاغتراف من البئر، قد تكون عميقة وسحيقة مما يتطلب دلوا وصبرا في ترتيب ما جادت به، ثم القدرة على ترتيبه وإعادة صياغته في شكل قصة يُدركها القارئ باعتبارها حقيقة ممكنة التحقق والإمكان.

وتكمن الغاية من هذا الجهد والمسار الطويل، الوقوف على نتوءات الماضي وهفواته وانشطاراته من أجل التخلص من الثقل الذي يراود الذات عبر فعل السرد "فانفصالنا عن ماضينا وقدرتنا على أن نتراجع دون أن يُلقي علينا بمطالبه هو ما يُعطينا السلام والرضا، ولكن هل هذا ما يحدثُ فعلا؟"[1] تتساءل سيمون دوبوفوار.

تُعدُّ الذاكرة في تصور "دوبوفوار" سلطة لا يمكن التخلص منها بسهولة، فهي تستمر في تشكيل الحاضر وتوجيه مسارات الذات. فهي استجابة لدوافع الذات وبواعثها التي تدفع للبوح بما أثقل كاهلها وأضنى وجدانها، ولعل الكاتب وهو يعيد تشكيل الأحداث والوقائع في امرأة النسيان، لا يفعل ذلك من موقع محايد. وإنما من موقع الذات المُثقلة بأسئلتها وهواجسها، في محاولة لفهم الماضي وإعادة تأويله في ضوء تحولات الحاضر. إن فعل التذكر في هذا السياق لا يراد به فقط مقاومة النسيان، بل هو فعل مقاومة للتمزق الداخلي، وسعي إلى استعادة الذات عبر فعل السرد من أجل بناء التجربة الإنسانية وتحريرها من صمت التاريخ الرسمي أو النسيان القسري.

لذلك، فأن يبني محمد برادة عوالمه السردية من خلال النبش في الذاكرة، معناه أن يقف وقفة المتأمل فيما كان، وما ينبغي أن يكون، وأن يقاوم النسيان، ويعترف بالهفوات التي كانت سببا في عدم السير إلى الأمام عبر التأمل في هذه الخبرات. وهو ما تؤكده دوبوفوار بقولها "ليس الماضي منظرا خلويا هادئا أو ضيعة أستطيع التجوال في أي مكان يعجبني منها، وتستطيع أن تعرض علي

[1]– ورنوك، ميري (2007): الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة: فلاح رحيم، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص215.

تدريجيا كل تلالها ووديانها السرية، فأنا إذ أمضي فيها إلى الأمام أراها تتهدم أمامي، وأغلب الحطام الذي أراه أمامي مشوها، متجمدا يفلت مني معناه"[1].

يعكس تصور دوبوفوار أن الذاكرة لا تعيد إنتاج الماضي كما هو، بل تعيد تركيبه انطلاقا من الحاضر، ومن حاجات الذات الراهنة. وتحضر هذه الرؤية في رواية "امرأة النسيان" في الطريقة التي تُستعاد بها الأحداث لا بوصفها يقينا تاريخيا، بل كنسيج من الذكريات والرموز والمشاعر، يتم ترتيبه وفق منطق داخلي يخضع لتحولات الوعي، وليس لتسلسل الزمن، وهكذا يتحول الماضي من معطى جامد إلى سؤال مفتوح، ومن مرجع آمن إلى حقل تأويلي مليء بالثغرات والاحتمالات.

وبناء عليه، تبدو العلاقة بين السرد والذاكرة وطيدة الصلة؛ فالذاكرة هي ما يمنح السرد موسوعية تمكنه من الإلمام بالخبرات والتجارب، مسافرا عبر الأزمنة والأمكنة، متوقفا تارة ومكملا تارة أخرى. لقد خلقت الذاكرة عالما واسعا من الكتابات تسمى كتابات الذاكرة؛ فليس التاريخ وحده من يملك شرعية السرد التاريخي، وإنما بالإمكان الاستناد إلى الذاكرة باعتبارها صندوق العجائب الذي يتيح للكتاب والروائيين كتابة التاريخ غير المؤرشف الذي يعتمد على الإبداع والفنية والتأويل. ولا شك أن الروائي المغربي محمد برادة اغترف منها، فكانت البئر التي يعود إليها ليدلي بدلوه في غرفة متوالية سردية تتوالى ضمنها المشاهد واحدة تلو الأخرى حتى استوت رواية سماها محمد برادة "امرأة النسيان"، ولكن هل الذاكرة وحدها كافية لاسترجاع ما كان؟

ثانيا: سرد الذاكرة بين الواقعي والتخييلي

1. التخييلي:

تشكل الذاكرة فضاء لاستعادة التجارب الفردية والجماعية التي حدثت في زمن الماضي. غير أن ما يُستعاد لا يُقدم باعتباره واقعا خالصًا مفصولا عن العوالم التخييلية؛ فالخيال ملتحم بالذاكرة ووظيفته الاشتغال على الآثار المتبقية فيها وبعثها من جديد من خلال الممكنات الفنية للغة. فالخيال إضافة إلى أنه يحلق بنا خارج ما هو واقعي، في عوالم لا واقعية أو مُحتملة، إلا أنه يجعل من الذكرى ذكرى معاد إنتاجها، ولنقل إنه إنتاج من الدرجة الثانية"[2]. يعمل التخييل–أيضا– على تحرير الكتابة من الطابع التقريري الذي يجعل منها مجرد محاكاة للواقع؛ فالتخييل يمكّن الخطاب الروائي من تجاوز البعد الواقعي الضيق، ويفتح إمكانات تعبيرية واسعة تتيح للكتابة الانفتاح على أفق متعدد الأبعاد، تتقاطع فيه مكونات الأسطوري والخيالي والواقعي ضمن بنية سردية مركبة، بما يجعل الرواية

[1] –المرجع نفسه، ص.210.

[2] –ريكور، بول (2016): الذاكرة والسرد "حوارات"، ترجمة، مندي، سمير، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص129.

تمارس دورا إيحائيا وجماليا في الآن نفسه. من هذا المنظور، يعمل التخييل على تجاوز الفكرة الأفلاطونية الكلاسيكية التي ترى في الأدب مجرد انعكاس للواقع؛ فالواقع–في الرواية– لا يُقدمُ بوصفه انعكاسا صريحا لعالم المُثل، بل يُعاد تصوره وتشكيله من خلال الخيال ليصبح مساحة لإعادة قراءة الذات والواقع بشكل مختلف، أكثر حرية وإبداعا. وهكذا يحقق التخييل هدفا مزدوجا: فهو يحرر الأدب من أسطورة النسخ الحرفي، ويتيح للخطاب أن يصبح مساحة تأملية تجمع بين الواقعي والرمزي والخيالي في نسق متكامل يعكس عمق التجربة الإنسانية.

يبني محمد برادة عوالم روايته "امرأة النسيان" بناء على عنصر التخييل كمادة أساسية للخطاب، إذ يقحم القارئ في عوالم مختلفة غير تلك المألوفة لديه من خلال الاستعارات والانزياحات، كما أنه يشتغل في هذا السياق باعتباره بداية السرد ومستهله والحافز عليه؛ وهذا ما يبدو جليا في الحضور الأسطوري للشخصيات والأزمنة والأمكنة والوقائع، بما يجعل منه مادة للإمتاع والغموض في الآن نفسه. وتتحول العلاقة–في هذا السياق– بفضل التخييل من مجرد علاقة جامدة إلى حية يسودها البحث والتأويل من أجل الكشف عن مواقع الشخصيات في مخيلة الكاتب بغية توليد موضوعات جديدة كما هو الحال بالنسبة لمنطق حضور المرأة في الرواية؛ فهي ترتبط لديه بالزمن الماضي، وهي محفز على السرد وباعث عليه، وهي المرآة التي يرى من خلالها التغيرات التي طرأت منذ الزمن الماضي وموقعها في الحاضر.

ورغم أن الرواية تبني رؤيتها السردية بناء على الدور الذي يؤديه التخييل ضمنها، إلا أنها لا تخلو من مواقف تجسدها هذه الشخصيات كالتعبير عن رفضها لواقعها بشكل مباشر. وهذا معناه أن صياغة الرؤى لا يمكن أن تتحقق إلا في سياق فني، وهذا هو جوهر الأدب بصفة عامة.

تتحكم تجربة محمد برادة في رسم مسارات التخييل انطلاقا من الشخصيات وملفوظاتها، يتعلق الأمر بشخصية كانت فيما مضى (في رواية لعبة النسيان) من صنع مخيلة السارد (ثمرة تخييل)، لكنه جعلها هذه المرة شخصية من لحم ودم. ووفق هذا البناء، يظهر أن هناك تداخلا حادا بين الواقع والخيال خاصة في التشابهات الكبيرة بين هاتين الشخصيتين في الكثير من الصفات "كانت هناك تشابهات كثيرة قلتُ سبحان من يخلقُ من الشبه أربعين"[1]. ورغم الغموض الذي يعتري هذه الشخصية في الرواية باعتبارها شخصية قادمة من رواية أخرى، والغاية الجوهرية منها، إلا أنها تظل النبض الخفي الذي يتسلل من أعماق النص إلى مخيلة الكاتب، فهي أشبه بمرآة باطنة، يتوارى خلفها محمد برادة ليفصح ما يعجز عن قوله بشكل مباشر، أو لعله يختبر عبرها حدود اللعبة الروائية كاشفًا عن رؤى تتجاوز ظاهر الحكاية إلى باطنها، حيث تتلاقى الذات والخيال في همس موارب.

[1] –برادة، محمد (2004): امرأة النسيان. الدار البيضاء: دار الفنك، ص15.

لنقل إن شخصية (ف.ب) تعدّ بمثابة المرجعية الثقافية في الرواية، لأنها تكشف المستور، وترصد مظاهر التناقض الثقافي الذي كان سببا في الأزمة التي تتخبط فيها الذات التي غدا كل همها هو التعبير عن حالة الإحباط التي تتربص بها، ويشتغل فعل الاستذكار باعتباره محفزا للكشف عن هذه الحالة خاصة حين تدخل الذات في المقارنات بين الماضي والحاضر؛ ماض يبعث على الانتعاش وحاضر يوحي بالركود والموت والتشظي، فهي لا تبتغي من خلاله الانتشاء، بل النسيان، "أمعنت في ملاحقة السديم الذي ينسيني انتمائي إلى هذا العالم". وهكذا، فإن هذه الشخصية الأنثوية تشتغل باعتبارها ذلك الصوت الذي يناجي الكاتب منذ سنوات، وقد استجاب له أخيرا من خلال فعل السرد والنبش في أعماق الذاكرة لتعرية تناقضات المجتمع والقيم التقليدية التي تطغى عليه على حساب قيم الحب والحرية. تقول (ف ب): "قاد خطواتي الأولى على طريق الرفض واستنطاق الجسد لأكتشف ترف الغواية والحب ثم تركني ليعود إلى زواج مرتب أعدّته له العائلة"[1].

ويبدو أن الذات من خلال الصوت الأنثوي لشخصية (ف.ب) تعيش حالة تمزق داخلي "وجدتني أشعر بالاختلال والتباعد عن جميع من ألتقيهم"، بحيث تصبح مناجاة الذاكرة والعيش عَلامَ تجود به بمثابة الحنين والاعتراف بالإحباط الذي تعيشه الذات في الحاضر "أصبحتُ مشدودة إلى التأمل ومناجاة الذاكرة"، ما يعني أن ماضي الذات أفضل من حاضرها، ماض حيث كان ممكنا أن يشق المرء طريقه ويكتشف مناطق مختلفة من العالم دون وصاية ثقافية "أدركت أن الحياة يمكن أن تكون مختلفة عما عشتُه في المغرب تحت وصاية تأخذ أكثر من شكل"[2].

ويظهر جليا أن حالة الانشطار التي تعيشها الذات الأنثوية سببها الثقافة المحلية التي تحكمها العادات والتقاليد والوصاية الذكورية للأنثى، التي لا تخول للمرأة أن تعيش ككائن حر، وتتخلّص من التبعية للتقاليد والمهترئة" كنتُ أقرأ وأكتب وأنا أفكر فيما عشتهُ بالمغرب وفيما أطمح إلى تغييره لتستطيع النساء في بلادي أن يمارسن حريتهن ولم أستطع أن أتمم ما بدأت". وهكذا فإن موضوعة المرأة تمثل باعتبارها ذاتا تمتلئ سيكولوجيا بالاهتزازات والانفعالات والتجارب الفاشلة، كما تحضر باعتبارها نوعًا من الإدانة للواقع وقيمه وأنساقه، هذا المجتمع الذي لازال يرزح تحت رحمة العرف والتمثلات التقليدية والمتوارثة.

ولعل هذه العوالم التخييلية التي تحضر في الرواية تنهل من الأحلام والكوابيس والوقائع بشكل يصعب التمييز بين ظلالها؛ بين الأصل والنسخة، مما يجعل هذا القلق الذي يسكن النص ينتقل إلى ذهن القارئ الذي يصبح كل همه فك لغز النص وإيجاد الخيط الناظم بين كل هذه الحدود. فمحمد برادة يروم توضيح التناقضات التي تعيشها البشرية وفق منظوره الخاص، ويتيح للقارئ فرصة اقتفاء

[1]- المصدر السابق، ص15.

[2]- المصدر السابق ص17.

أثر المعنى خارج ما هو مألوف، فالمتخيل وسيلة مثلى لاختراق الواقع وتعريته وإعادة قراءته بمنطق فني يتوسل الرمز والتخييل والتكثيف. وبفضل هذه العوالم الجديدة تتحرر اللغة من قيودها اليومية وتنبعث الشخصيات من عمق الرؤية لتؤدي أدوارا تتجاوز الواقعي إلى ما هو جمالي وفلسفي، وهكذا يظل المُتخيل جوهر الفعل الروائي وشرطه الجمالي الذي يمنح النص حياة ثانية، ويفتح أمام الرواية إمكانات لا تنضب في الحفر داخل الذاكرة، والنبش في الهويات، واستشراف الأسئلة الكبرى للوجود.

ومع ذلك، فإن التخييل في رواية "امرأة النسيان" يتجاوز حدود تشييد الشخصيات باعتبارها عوامل تتحرك في منطقة تتأرجح بين الواقعي والمتخيل، ليطاول بنية الزمن الروائي، حيث يعمل برادة على تفكيك خطيته المألوفة وإعادة تركيبه وفق منطق الذاكرة عبر استعادة الزمن الماضي ضمن أحداث الحاضر، أما على مستوى اللغة فيظهر ذلك بشكل جلي في التأرجح بين طابع واقعي ينقل تفاصيل التجربة، وآخر شعري إيحائي رمزي، ويبرز كذلك في تعددية الأصوات السردية الناتجة عن التناوب بين ضمير المتكلم الذي يلعب دورا محوريا في الكشف عن الحالة النفسية للكاتب[1]، وضمير الغائب الذي يمنح السرد مسافة تأملية أوسع ويسمح بتشييد رؤية أكثر موضوعية للوقائع والأحداث، مما يتيح للغة أن تنفتح على أفق حواري لا يختزلها في الطابع الإخباري. وبهذا المعنى، تصبح رواية "امرأة النسيان" لمحمد برادة احتفاء بقدرة الخيال على إعادة تشكيل الواقع، واستكشاف معناه بشكل أكثر إبداعا وحرية.

2. الواقعي

يُعرّفُ هنري جيمس (Henry James) الرواية أنها "انطباع شخصي ومباشر عن الحياة؛ وتكون قيمتها أكبر أو أقل حسب شدة الانطباع"[2]. وبناء على هذا التعريف، فإن الرواية تجسد أبعاد الواقع وترسم ملامحه، من خلال حساسية الكاتب، وانطباعه الشخصي، وتجاربه، ورؤاه، ومواقفه الإنسانية والاجتماعية، من خلال ما تتيحه ممكنات اللغة والفكر؛ إذ تحاول الذات أن تحتوي هذا الواقع، تتعرف عليه، وتفهمه بواسطة اللغة وعبرها. وتتم استعادة هذا الواقع إما بسبب الحنين إليه، أو من أجل السخرية منه، أو باعتباره مصدرا للألم والمعاناة.

إن التعبير عن هذا الواقع، يتطلب دافعا أدبيا من الواقع ذاته، حيث يقوم الموضوع السردي بتنظيم الأحداث والشخصيات وبنية السرد على أساس موازاتها مع ما يجري في العالم الواقعي؛

1– الشميلي، فاطمة خميس سليمان، وزاريما بنت محمد زكريا. (2025). البعد النفسي للراوي الداخلي في الرواية الإماراتية الحديثة: رواية يوميات روز نموذجًا. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 5، العدد 8، ص100.https://doi.org/10.56989/benkj.v5i8.1518

2– Kornelij Kvas, The Boundries of Realism World Literature, Translated by MonicaPetrovic, published by Lexington books, 2011, p10.

فالرواية لا تنقل العالم بشكل حرفي، بل ضمن محاكاة مدروسة للعلاقات الاجتماعية والتجارب الإنسانية تلعب فيها الرمزية دورًا مركزيا بما يُضفي على النص طابعًا من المصداقية ويمنحه بُعدا حياتيا بشكل يسمح للقارئ "بالتأمل في التناقضات والتحديات الداخلية التي تشكل جزءا لا يتجزأ من الحبكة"[1]. ومن خلال هذا التوازي، تُظهرُ الرواية قدرتها على استكشاف الواقع وتفكيكه، لا باعتباره مجرّد خلفية للأحداث بل كعُنصر يوجه مسار السرد ويمنحه معناه وديناميته.

يعرّفُ ألكسندر فليكر (Alexandre Flicker) الواقعية باعتبارها "حركة أدبية وفنية سعى أنصارها إلى تقديم الواقع كما هو"[2]. غير أن هذا التعريف عند إسقاطه على رواية "امرأة النسيان" لمحمد برادة، نجده يكشف عن حدود الفهم التقليدي للواقعية؛ فعلى العكس من ذلك، لا ينقل محمد برادة الواقع نقلا مباشرا أو حرفيا، بل يعيد إنتاجه عبر منظور نقدي وتخييلي. فالواقعية–من خلال الرواية– تقوم على تفكيك البنيات المجتمعية وتحليلها، وليس فقط تمثيلها، وهو يوظف التخييل كأداة أساسية لخلق عوالم سردية ذات طابع فني وجمالي دون أن يفقد النص ارتباطه بجذوره الواقعية. وفي هذا السياق، تظل الرواية محتفظة بهويتها، لا بوصفها مجرد انعكاس لواقع خارجي، بل باعتبارها تعبيرا عن دوافع ذاتية وموضوعية دفعت الكاتب إلى الكتابة. وتتمثل هذه الهوية في الخلفية الثقافية والسياسية والاجتماعية التي ينطلق منها النص، وفي التجربة الفردية للكاتب ذاته، بما تحمله من أسئلة حول الهوية، والذاكرة، والتحولات القيمية في المجتمع المغربي. وإذا كانت رواية "امرأة النسيان" قد عمدت إلى توظيف عوالم التخييل للتخفيف من ضغط الواقع، فإن هذا الأخير هو النواة التي ينطلق منها برادة للكشف عن النظام الاجتماعي وأعرافه وتقاليده وسياساته، وعن البنية الثقافية التي تحافظ على نفس القيم والتصورات (حشومة البنات ما يخرجوش مع الأولاد...)[3].

تستمد الرواية تفرُّدَها من كونها ألقت الضوء على مجموعو من القضايا المركزية أبرزها ظاهرة الاستلاب الثقافي، بوصفها أحد المظاهر العميقة للتحول الاجتماعي والنفسي الذي يعيشه الفرد داخل المجتمعات التي "استعمرت" ولم تتخلص من هذه العُقدة، ويبدو ذلك جليا من خلال الهيمنة اللغوية والثقافية وأنماط العيش والتفكير المتأثرة بالنموذج الغربي، فالرواية تفكك هذا الاستلاب عبر تصوير التناقضات التي يعرفها المجتمع، والتي تدل على الهيمنة، حيث يتم استبدال المرجعية الثقافية الأصيلة بقيم مستوردة تُفقدُ الذات توازنها الداخلي (مظاهر التباين تزداد ما بين الأحياء الشعبية وأحياء الإقامات الفخمة التي تراكم علامات البذخ، في بداية المساء يتجمع الموسرون عند المقاهي والمطاعم المنتمية بأسمائها إلى العراقة الباريسية: عند بول، لونوتر ، ألف ورقة.. إلا أنها تجمعات أشبه بالفقاقيع، ازدحام

[1] – الصغير الشميلي، فاطمة خميس سليمان، وزاريما بنت محمد زكريا. (2025). مرجع سابق، ص97.

[2]–Ibid, –2.1

[3]– برادة، 2004، ص18.

السيارات الفخمة، الأطفال والمرهقون بملابسهم الأمريكية، والزوجات المصونات بفساتين الخياطة الرفيعة يتهادين على الأرصفة.. وخليط من اللغات يضفي طابعا كوسموبوليتيا على تلك التجمعات)[1].

إن الصورة التي يقدمها برادة من خلال هذه العوالم التي يرسمها عبر اللغة تعبر عن أزمة هوية حضارية، حيث يلح أفراد المجتمع على أن يكونوا (ذاك الآخر) الذي يرتبط في تمثلاتهم بالتحضر، والتفوق، مما يجعلهم يفقدون "هويتهم وأصالتهم".

ومع ذلك، فإن ما يشكل نواة الواقعية في الرواية هو النقد الذي وجهه الكاتب لممارسة السياسة المغربية من خلال الحفر في ماضي الحزب الاشتراكي، وعقد مقارنات تظهر التحولات القيمية التي طالت معظم المناضلين مع بعض الاستثناءات "كان أحد المشرفين الأساسيين على توفير المؤونة للمعتقلين، وجبات الطعام، الملابس، السجائر، النقود، الكتب...فاجأني، ذات مرة، عندما ألمحت إليه أنني لا أستطيع زيارة صديقين بسجن لعلو لأن ميزانيتي لا تسمح، بأنه قد ناب عني وقدم لهما مؤونة باسمي"[2].

إن الذاكرة السياسية في الرواية تعكس هموم الزمن السياسي المرحلي، وكل ومظاهر التأزم المخترقة للحزب والمجتمع.

" أما تزال قادرا على الضحك كما كنا نفعل في الستينات والسبعينات"[3].

وفي المقابل، يسافر بنا برادة إلى الضفة الأخرى ليسلط الضوء على أحوال هؤلاء الذين اغتنوا من الممارسة السياسية وتناسوا قيم النضال والاشتراكية؛ المال بدل النضال والسلطة بدل القيم "لعلك لا تعرف الفيلا الجديدة للأخ الحلايبي؟... فغيروا من خطابهم الذي كان يدور حول المصلحة وخدمة الوطن، إلى آخر يتمركز حول ذواتهم مغلقين أفواههم للحفاظ على مناصبهم والسلطة المخولة لهم"[4].

يبدو أن العودة إلى الذاكرة جعلت السارد (الكاتب) يعيش حالة اغتراب وشك تسللت إلى أعماقه وهو يتأمل التحولات العميقة التي أصابت جيله من المناضلين، ويتجلى هذا التمزق الوجودي في تساؤله الحارق "هل حقا أنا أعرفهم"[5].. وهو يرى أحد المناضلين القدامى وقد "سلك طريق ملتويا

1- المصدر نفسه، ص25.
2- المصدر نفسه، ص 27.
3- المصدر نفسه، ص28.
4- المصدر نفسه، ص 30.
5- المصدر نفسه، ص 32.

خلال الانتخابات التشريعية السابقة الآن يوجد خارج التشكيلة الحكومية بالرغم من علاقاته الوطيدة بأعضاء نافذين عاشوا أيضا معه في المنفى"[1].

لقد لا مست الكتابة عند محمد برادة مجموعة من القضايا الحساسة التي يحبل بها الواقع، خاصة تلك التي لها علاقة بالممارسة السياسية المغربية وازدواجية خطاب المناضلين، والاغتناء السياسي، والاستيلاء على المناصب دون ترك فرصة للأجيال اللاحقة، وتعميق الهوة بين الطبقات في المجتمع. وقد عبر عن ذلك بشكل لا يخلو من سخرية لاذعة "وزير مغربي شغل منصبه أكثر من ثلاثين سنة إلى أن أقعده المرض "أمولاي أحمد تيخصك تْزَارْ...أرى داك الراس نبوسو"[2].

ثالثا: سردية الاحتفاء بالهامش والمهمش

يشكل الهامش وقضاياه محور الكتابة عند محمد برادة، ويحضر بشكل واضح من خلال مجموعة من الشخصيات التي أسهمت في بناء معالم روايته، والتي تحاول أن تعبر عن ذاتها ووجودها في فضاء ثقافي لا يعترف بها. وإذا كانت في عالم الواقع لا تمتلك صوتا تعبر به عن مواجعها، فإن برادة قد جعل منها مركزا للسرد، وفسح لها المجال لتكشف عن معاناتها وأسئلتها الوجودية.

ولا تُقدّمُ هذه الشخصيات –في امرأة النسيان– من مُنطلق الشفقة أو التوثيق السطحي، بل تمنح عمقا إنسانيا يجعل من معاناتها سؤالا وجوديا وثقافيا. فمثلا نجد شخصية (الضاوية) وهي من أبرز الشخصيات التي تمثل الهامش وتحيل عليه، نموذج لامرأة تعيش معاناة مزدوجة؛ مادية، معنوية، وعاطفية. فهي تنتمي إلى طبقة اجتماعية هشة. وتشتغل خادمة في بيت (ف.ب) مما يجعلها في موقف ضعف وتبعية داخل بنية اجتماعية طبقية لا تمنحها أي سلطة أو تقدير. وحتى في اللحظة التي اعتقدت فيها الضاوية أنها وجدت الحب في حضن شاب وعدها بالزواج، تحولت هذه اللحظة إلى كابوس، إذ سرعان ما أوقعها في شرك الدعارة، مُقنعا إياها بأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاستقرار المادي. وهكذا تنقلب الضاوية من امرأة تبحث عن الحب إلى ضحية منظومة استغلال جسدي واقتصادي، لتجد نفسها "تعيش في كنف قوادة محترمة لها فيلا يتردد عليها كبار القوم والباحثون عن اللذة ليختاروا من بين البنات الوافدات على المبغى السري من جميع أنحاء المغرب"[3].

يكشف هذا المقطع عن أهمية الفضاء (الهامش، المركز) في الرواية، فهو ليس "مجرد حيز جغرافي في الرواية، فهو يعكس رؤية الكاتب الخاصة ويوجه العمل السردي بأكمله وعلى الأحداث

1– المصدر نفسه، ص34.

2– المصدر نفسه، ص35.

3– المصدر نفسه، ص53.

والشخصيات التي تتحرك في هذا الإطار"[1]، بالإضافة إلى ذلك فهو يضفي الواقعية على العمل الروائي.

من خلال هذه الشخصية، يطرح برادة أسئلته الكبرى حول الهوية، الحرية، والكرامة الإنسانية. ويظهر كيف أن الرواية يمكن أن تكون فعلا مقاوما، يعيد الاعتبار لمن لا صوت لهم، ويحرك الساكن في وعي القارئ تجاه قضايا ظلت لعقود طي التجاهل أو التواطؤ.

وليست شخصية الضاوية هي الوحيدة التي تمثل الهامش في رواية "امرأة النسيان"، بل نجد أيضا شخصية (بن عريش) التي تنتمي إلى نفس العالم، غير أن الفرق الجوهري بين الشخصيتين يكمن في طريقة تعاطيهما مع التهميش والرد عليه. فالضاوية التي وُجدت على هامش المجتمع، وعانت من الفقر والعزلة، وقعت ضحية عنف ممنهج انتهى بها إلى الاستغلال والقتل ما يعكس كيف يتم سحق المهمشين حين لا يمتلكون أدوات المقاومة.

وفي مقابل الضاوية نجد ابن عريش، الذي اختار أن يواجه الهامش بطريقة مختلفة عن الضاوية، بولوجه عالم الجريمة، مؤمنا بالمبادئ الميكافيلية التي تُشرعن العنف، لقد كان هذا المسار ردا عنيفا على الأبواب الموصدة في وجهه، وقد جسد ذلك من خلال قوله: "هل فكرتم في مساعدتنا آنئذ لنقول ما كان يملأ النفس من غضب ويدفعنا إلى اليأس والعنف؟ ... هل فكرتم في تلك العصابة كما أسمتنا الصحافة، وفي وضعيتنا المزرية وكيف كنا نعيش منسيين من الجميع متروكين لحساب الشيطان؟"[2].

تحبل هذه الفقرة بشحنة احتجاجية قوية، تُنبه إلى أن العنف الذي يُدان في الإعلام والفضاءات الرسمية ليس حالة شاذة بل نتاج بنية اجتماعية مختلة، فشخصية بن عريش تقر بأن العنف ليس مستوردا من الأفلام، أو الثقافة الجماهيرية، بل هو نتاج داخلي نبت فوق تربة الفقر، والظلم، والتهميش. يقول مخاطبا المجتمع ومؤسساته: "العنف نابت فوق هذه التربة التي نعيش فوقها، فرضه الحكام، وتشبث به المستفيدون، والآن تدعون إلى الأخلاق والتخليق لمواجهة عواقب العنف..ألستم تبيعون القرد وتضحكون على من اشتراه!"[3].

إن هذا الخطاب يدفع السارد نفسه إلى الإقرار بعمق الكلمات التي تلفظ بها بن عريش، ووعيه بخطورة المفارقة المجتمعية التي يكشف عنها: مجتمع يمارس العنف البنيوي عبر سياسيات الإقصاء والتهميش، ثم إدانته لمفرزاته حين تنفجر في شكل عنف مضاد. كما أن هذا الاعتراف يكشف تحولا

[1] – قويضي، إلهام. (2024). اقتباس الفضاء السردي من الرواية إلى الفيلم السينمائي. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 4، العدد 11، ص36. https://doi.org/10.56989/benkj.v4i11.1271

[2] – المصدر نفسه، ص70.

[3] – المصدر نفسه، ص71.

في موقعه كسارد للأحداث؛ من سلطة حكائية إلى ذات منغمسة في مساءلة الذات الجماعية في نوع من الانزياح من التمثيل إلى التواطؤ.

يشكل خطاب "بن عريش" سلطة تلفظية، إذ يهدم الخطاب الأخلاقي الزائف الذي تتبناه مؤسسات التنشئة التي تدعو إلى التخليق وهي نفسها ساهمت في إنتاج شروط الانحراف. علاوة على ذلك، كشف زيف الخطاب الإعلامي الذي اختزل العصابة في مجرد مجرمين، دون التطرق إلى جذور الأزمة التي دفعتهم إلى العنف.

في هذا السياق، يتحول بن عريش من مجرد شخصية روائية إلى مفكر هامشي يعيد تشكيل الخطاب من الداخل، وتشكل قولة "ألستم تبيعون القرد وتضحكون على من اشتراه" تكثيفا بلاغيا لفضح النفاق الجماعي، واستخداما للغة الشارع كسلاح في وجه البلاغة الرسمية. أما من الناحية السردية تشكل هذه اللحظة نقطة انكسار في الخطاب الروائي، حيث يتوقف النص عن بناء الأحكام الأخلاقية التقليدية، ويدخل في منطقة رمادية، تجعل القارئ مضطرا لإعادة النظر في مفاهيم الجريمة، الذنب والمسؤولية، ووفق ذلك، لا يصبح بن عريش مجرد موضوع للحكي، بل فاعلا فلسفيا يقلق السارد ويزعزع يقينيات القارئ.

لا يُقدمُ العنف في الرواية كحالة مرضية منعزلة، بل كعرض من أعراض مرض مجتمعي تغذيه بنيات الظلم والتفاوت واللامبالاة. وهكذا تنجح الرواية في تحويل السرد إلى ممارسة نقدية تعيد السؤال حول حدود العدالة وجدوى الأخلاق إلى الواجهة بحيث تصير "أداة للاحتجاج على الإحباط النفسي والاجتماعي"[1].

رابعا: المركز الأخلاقي المتآكل: بين النضال والانتهازية:

تشكل رواية "امرأة النسيان" فضاء سرديا خصبا لتفكيك المركز بكل تمثلاته: مركز السلطة، مركز الحزب، مركز المثقف، بل وحتى مركز الذاكرة. فإذا انتقلنا من المستوى المباشر للقراءة إلى المستوى الإيحائي، ومن خلال تفكيك علامات النص، سيتبين أن الرواية تبرز تمزق الشخصيات التي كانت تنتمي في السابق إلى المركز المُثقل بالمبادئ الكبرى، والنضال السياسي، والحلم بالتغيير. فالسارد وشخصية (ف.ب) ونعيمة وغيرهم من المثقفين والمناضلين، يشكلون نواة ذلك المركز الذي تبنى عليه رهانات الوعي السياسي والجمعي. غير أن هذا المركز في السرد يبدو لنا وقد تهدم من

[1] – مهديوي، إبراهيم (2023): الرواية بوصفها سيمياء اجتماعية: دراسة سيميائية اجتماعية في زمن الأخطاء لمحمد شكري، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، العدد 3، ص555. https://doi.org/10.56989/benkj.v3i3.114

الداخل، وتحول إلى بؤرة خذلان وخيانة، حيثُ أُفرغت الشعارات من مضامينها، وارتد المناضلون إلى واقع النفعية وتقلد المناصب على حساب المبادئ.

وتتجلى مركزية الخيبة في شخصية السارد الذي يحتفظ بذاكرة مسكونة بمرارة التحول، إذ لم يعد يرى في المركز الحزبي أو السياسي سوى موقع هش، اخترُق من الداخل، وفقد بريقه، وصوته الأخلاقي، فصار علامة على التصدع القيمي. وهذا لا يستثني شخصية (ف.ب) التي كانت تعيش في المركز؛ إذ تقدمها الرواية كرمز للتمزق وفقدان البوصلة، إذ تحمل حنينا دفينا لماض نقي، وفي الآن نفسه ترغب في نسيانه لأنه يقف شاهدا على حاضرها، أما السارد فيبدو وعيه موزعا بين الرغبة في الفضح والسخرية من كل شيء، والتوق إلى استعادة ما لا يستعاد.

لذلك، لا تقتصر الرواية على وصف انهيار المركز فحسب، بل تعيد بناءه سرديا كمساحة رمزية للخذلان والذاكرة الجريحة. وهكذا تجعل الرواية من تفكك المركز أفقا للتأمل في مسار ذات مثقفة خرجت من قلب التاريخ، لتقف على هامشه، حاملة وعيا مكسورا، لا يجد في السرد سوى ملاذ هش لقول ما لا يُقال.

تستثمر الرواية مجموعة من الشخصيات التي تجسد التحولات العميقة التي شهدها المركز السياسي المغربي، خاصة في علاقته بالمبادئ الأخلاقية والقيم النضالية. إذ يستدعي السارد شخصيات تنتمي إلى المركز الأخلاقي لكنها سرعان ما تنفصل عنه لتكشف عن هشاشة الشعارات وسقوط المثال. ومن أبرز هذه الشخصيات نجد "مصلح" الذي يشكل نموذجا للنزاهة والتفاني ونكران الذات، إذ يوصف بدماثة خلق نادرة والتزامه الصامت ونضاله البعيد عن الأضواء، بل يشرف على مؤونة المعتقلين في صمت، وكأنه يحتل موقعا أخلاقيا مركزيا داخل الفضاء السياسي.

غير أن هذا المركز لا يصمد طويلا، إذ يقابل شخصيات نقيضة تعري الوجه الآخر للممارسة السياسية، كما في حالة الحلايبي الذي يبدو اسمه مشتقا من فعل "حلب" في إشارة سميائية إلى استغلاله لكل شيء من أجل مصلحته الخاصة. فهو يمثل الوجه الانتهازي للممارسة السياسية، حيث تفرغ القيم من معناها ويصبح المركز السياسي مجرد أداة للاغتناء وتضخيم المصالح الشخصية، كما يتضح في السؤال الساخر والمتكرر: "هل تعرف فيلا الحلايبي؟" بما تحمله هذه العبارة من إيحاء بالتسلق الاجتماعي وتحقيق الثروة عبر بوابة النضال الزائف.

لا تكتفي الرواية بالكشف عن هشاشة البنية السياسية، بل ترصدُ أيضا كيف يفقد المركز الأخلاقي معناه، حين تتحول السياسة إلى واجهة لتبرير الانحراف والاغتناء، في زمن ما بعد الالتزام. وإذا كانت الرواية تعري سقوط النخبة السياسية وتكشف عن تهافت شعاراتها من جهة، وتحول المركز إلى فضاء مُفرغ من معانيه فإنها تفتح المجال أمام بروز الهامش، لا كموقع جغرافي ولكن كمجال رمزي يستعيد فيه المهمشون وخاصة النساء صوتهن السردي. كما يظهر من خلال شخصية (ف.ب)،

إذ لا يقدمُ الهامش بوصفه ضدا للمركز فحسب، بل بديلا رمزيا يحمل طاقة نقدية وتحريرية تتجلى في إعادة تفكيك اللغة والتاريخ والهوية انطلاقا من موقع الذات المجروحة والمنفية.

وبذلك تعكس الرواية التوتر القائم بين مركز لم يعد ينتج معنى، وهامش ينفتح على احتمالات المعنى الجديد. فلا يكون الحديث عن امرأة النسيان مجرد حنين إلى الماضي، بل مساءلة جذرية لما كان، واقتراحا لسرد بديل يتجاوز الشعارات الكبرى نحو تجربة إنسانية تكتب من هوامش الوجود لا من مركزه المتآكل.

خامسا: السخرية في رواية "امرأة النسيان" كآلية نقدية

تتأسس السخرية –كأسلوب فني– على التباين والاختلاف بين ما تتلفظ به الشخصيات في الرواية، وما يروم الكاتب الحقيقي إيصاله إلى القارئ. بحيث تتحول الكلمات إلى صورة لقلب المعنى[1]. ومن خلال هذا التباين تقود السخرية إلى خلق وضعية تغير شكل الخطاب وتجعله يخدم مساعي وقصديات الكاتب؛ فوجود مستويين دلاليين متناقضين هو ما يمنح النص عمقا وتعددا في مستويات المعنى، كما يحفز القارئ على البحث عن المعنى الحقيقي الذي يتوارى وراء اللغة.

ولعل توظيف محمد برادة للسخرية في رواية "امرأة النسيان" لم يكن لاعتبارات فنية وجمالية فحسب، بل لما تؤديه من وظائف معرفية ونقدية عميقة، فهي آلية لتفكيك الواقع واستجواب المسلمات، وفضح تناقضات الذات والمجتمع. وهذا معناه أن برادة لا يهدف إلى التهكم السطحي، بل إلى نقد البنى الثقافية والسياسية التي تُنتجُ النسيان والتهميش.

تتخذ السخرية في الرواية شكلا قريبا من الكوميديا السوداء، حيث يتفاعل المأساوي بالهزلي في مشاهد تبرز عبثية الوجود الإنساني وتناقضاته؛ فالهزل لا يُلغي الجد بل يعمقه، ويوقظ القارئ على مأساوية الواقع الذي يضحكه، وهكذا يتحول الضحك من فعل ترفيهي إلى أداة للوعي النقدي، وتصبح السخرية وسيلة للتفكير والتأمل في الذات العربية التي تتأرجح بين الذاكرة والنسيان والحلم والانكسار.

يسخر برادة من النفاق الاجتماعي والسياسي، كما يبدو في هذا المقطع: "لم أتدخل في النقاش، واكتفيت بالاستماع إلى الأعضاء الذين يسخنون حبالهم الصوتية ويتحفوننا بالكلام المُعاد"[2]. وتكشف السخرية في هذا السياق الفراغ الفكري والثرثرة الشكلية، كما تبرز التناقض بين الشكل والمضمون، إذ

1– طلال رشيد، السخرية الروائية: محكي تنسيب الحقائق واتساع المفارقات (رواية ذات لصنع الله ابراهيم)، مجلة تبين، مجلد 6، عدد 23، 2018، ص8.

2 – المصدر نفسه، ص33.

يبدو الاجتماع رسميا وجديا، لكن خطابه لا يعدو أن يكون مجرد تكرار واجترار دون أي فعل تجديدي حقيقي.

وهناك السخرية من الوعي المزيف "لا يجوز قراءة الصحف الصفراء.. لا يجوز مطلقا أن نصدق الأجانب ونكذب المسؤولين أبناء البلاد"[1]، تتحقق السخرية في هذا السياق على مستويين؛ تهكم على عقلية رفض النقد الأجنبي وتقديس المسؤولين بغض النظر عن الحقيقة، وفضح التواطؤ المجتمعي مع الخطاب الرسمي الذي يستبدل الحقائق بالولاء والشعارات.

وانطلاقا من هذه المقاطع يمكن القول إن السخرية تؤدي مجموعة من الوظائف، كالكشف عن الزيف الأخلاقي، ونقد الوعي الجمعي، وإبراز تأثير الثقافة الشعبية على الممارسة السياسية التقليدية، والكشف عن التناقض والازدواجية بين المظاهر العامة والواقع الداخلي. إن هذه الوظائف تجعل من السخرية وسيلة نقدية تكشف عن التناقض بين الحلم الوطني والواقع السياسي المأساوي.

الخاتمة:

ختاما، يمكن القول إن "امرأة النسيان" ليست مجرد رواية تستعيد الماضي من أجل استحضار لحظات شخصية أو وطنية عابرة، بل هي نص يمارس الذاكرة كفعل نقدي، ويحيل على تجربة سردية واعية، تتقاطع فيها الذوات، والأزمنة، والأفضية. فالرواية تتجاوز البوح الشخصي لتصبح أداة لتفكيك الواقع المغربي، والتفكير في مآلاته، من خلال صوت مركزي، هو صوت المتكلم الذي يتحول إلى مرآة لقلق الفرد والمثقف إزاء مجتمع يمر بالتحولات والانكسارات.

إن استرجاع الماضي لا يمارس بوصفه حنينا ساذجا، بل فعلا تأويليا ونقديا يستنطق المسكوت ويكشف التوترات بين الذاكرة والواقع، الذات والآخر، الكتابة والحياة. وهكذا تنخرط الرواية في تفكيك الخطاب السائد عبر سرد يتماهى فيه الذاتي بالجمعي، ويسائل الكتابة كوسيلة للمعرفة والمقاومة والتجاوز.

نتائج الدراسة:

1. توصلت الدراسة إلى أن الذاكرة ليست مجرد وسيلة لاسترجاع الأحداث، بل أداة فنية ودلالية لإعادة بناء الزمن، واستحضار الماضي من منظور نقدي يتجاوز التسجيل إلى التأمل.
2. تفاعل الواقعي والمتخيل: يتأسس النص على تداخل مستويي الواقع والخيال، بما يعكس وعي الكاتب بأن الحقيقة الأدبية ليست إعادة إنتاج للواقع بل إعادة صياغة له داخل بنية تخييلية واعية.

---

[1] – المرجع نفسه، ص40.

3. الكتابة الروائية كفعل نقدي: تُمارس الكتابة كفعل مقاومة للتهميش والنسيان وتُقدم السرد باعتباره وسيلة لتفكيك الخطاب الاجتماعي والسياسي السائد وكشف التوترات الكامنة بين الذات والمجتمع.
4. تجديد في البنية الفنية للرواية المغربية: تؤكد الدراسة أن رواية امرأة النسيان تندرج ضمن التحولات التي عرفتها الرواية المغربية الحديثة، حيث انتقل السرد من التوثيق المباشر إلى التخييل التأملي الذي يعيد صياغة العلاقة بين الأدب والواقع.

توصيات الدراسة:

1. الانفتاح على مقاربات متعددة في دراسة الرواية المغربية تجمع بين المنهج السيميائي والتحليل الثقافي لفهم اشتغال العلامات والدلالات في النصوص.
2. تشجيع الدراسات المقارنة بين روايات محمد برادة وأعمال مغربية أو عربية اشتغل على قضايا الذاكرة والهوية من أجل إبراز خصوصية الكتابة المغربية.
3. توسيع البحث في موضوع الذاكرة السردية بوصفها رافدا أساسيا في بناء الوعي التاريخي والجمالي داخل الرواية المغربية المعاصرة.
4. تثمين التجربة السردية المغربية الحديثة عبر دراسات نقدية وأرشيفية تبرز مساهمتها في تشكيل الهوية الثقافية الوطنية وإغناء الفكر العربي المعاصر .

قائمة المصادر والمراجع:

1. برادة، محمد. (2004): امرأة النسيان. الدار البيضاء: دار الفنك
2. رشيد، طلال. (2018): السخرية الروائية: محكي تنسيب الحقائق واتساع المفارقات (رواية «ذات» لصنع الله إبراهيم)، مجلة تبين، 6(23).
3. ريكور، بول. (2016): الذاكرة والسرد: حوارات. ترجمة: سمير مندي. عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
4. الشميلي، فاطمة خميس سليمان، وزاريما بنت محمد زكريا. (2025). البعد النفسي للراوي الداخلي في الرواية الإماراتية الحديثة: رواية يوميات روز نموذجًا. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 5، العدد 8، ص100 https://doi.org/10.56989/benkj.v5i8.1518
5. قويضي، إلهام. (2024). اقتباس الفضاء السردي من الرواية إلى الفيلم السينمائي. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 4، العدد 11، ص36 https://doi.org/10.56989/benkj.v4i11.1271

6. مهديوي، إبراهيم (2023): الرواية بوصفها سيمياء اجتماعية: دراسة سيميائية اجتماعية في زمن الأخطاء لمحمد شكري، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، العدد 3، ص555. https://doi.org/10.56989/benkj.v3i3.114

7. ورنوك، ميري. (2007): الذاكرة في الفلسفة والأدب. ترجمة: فلاح رحيم. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

8. Ernaux, A (2008). Les années. Collection Folio. Paris: Editions Gallimard.

9. Kvas, K. (2011). The boundaries of realism: World literature (M. Petrovic, Trans.). Lanham, MD: Lexington Books. (p. 10)

10. Rieff, D. (2016). In praise of forgetting: Historical memory and ironies. New Haven & London: Yale University Press.